

(السنة الثالثة عشرة)

العدد الأول

يناير - مارس ١٩٤٧

صحف دار العلوم

نصرها: جماعة دار العلوم

كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

محمد نجيب منانة

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير

بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى يوسى

الاستاذ بدار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

٢٠ قرشاً _____ فى القطر المضرى

٣٠ قرشاً _____ خارج القطر

٥ قروش _____ ثمن العدد

طبعة العدد ١١٢

إِنْ سَاحًا مَدَقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَفْتَرِفَ أَيْنَ تَمُوتُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَإِنْ تَحْيَا لَوْجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَتَحْيَا فِي أَمْرِ الْعُلُوفِ

الأنشاد الأناشيد الشيخ محمد عنبه

الأخلاق في شعر شوقي

للمستاذ عبير الرهاف عناني الطيب

بقية ما نشر في العدد الثاني من السنة الثانية عشرة

- ٢ -

وإذا منح الشاعر الأصيل مع سمو الخلق رهافة الحس ، ونبالة القصد ،
والشعور بالمسئولية الإنسانية، والتبعة التربوية لآبناء جيله والأجيال المقبلة، فإنه
يدرك من نفسه أقل الهفوات ولا يخفى عليه في محيطه الخاص ، ولا في بيئته
العامة أدق الخفايا - ولا يزال بما له من السلطان الشعري ، والقوة الأخلاقية
يضرب على أنغام مختلفة الإيقاع من لحن محزن يصور نواحي الضعف تارة ،
ومن آخر سار يصور نواحي القوة تارة أخرى ، وهذا بالضبط ما تستطيع
أن تلبسه في شعر شوقي من صور لأخلاق بعض معاصريه ،

وأنا مع حضرة الأستاذ الكبير ، على النجدي ناصف ، عند قوله . في
الوقت الذي كان شوقي يقيم فيه بحجده الشعري ، كانت مصر تقبل وتتجمع
للبطالة بحقها في الحياة الحرة السكرية بعد ما أصابها من الارتكاس والتبدد
في الثورة العرابية ، وكان جبار الاحتلال لا يعدم أن يجد من ضعفاء النفوس
وأصحاب المطامع الشخصية نصراء يمحضون إرادته ، ويهايون سطوته ، فكان
شعور الناس اذ ذاك مزاجا من الطموح والعزم ، والنقمة وابتغاء الاسباب
هذا الكلام صحيح غاية الصحة ، إلا أنه في حاجة إلى توضيح من شعر
شوقي لنستطيع فيما بعد - كما استطعنا فيما قبل - أن ندرك السر في تلقيبه
بشاعر الأخلاق

كان المصريون بعد الثورة العراقية شيعة وأحزابا ، فريق يوالى تركيا بصفتها متبوعة من الجبهة الرسمية ، ومن وجهة الخلافة الدينية ، ومن ناحية التشاريف الأدبية التي كانت تمنح من السلطان لكبار المصريين رتبا وأوسمة .

وشيعنة تناصر جبار الاحتلال ، وتعتبره صاحب الرأي النافذ في سياسة البلاد ، والموجه الفعلي لمهام أمورها ، عملا بكلمة « جرافيل » ، إن رئيس الوزارة الذي لا يصغى لمشورة المعتمد البريطاني في مصر يجب عليه في الحال أن يستقيل .

وحزب ينادى « مصر للمصريين » ، ولا يجد في هذه الدعوة الصادقة حرجا ولا إغنانا ، للباب العالي ، وإن كان يجد كل الحرج من ناحية بريطانيا وكان شوقى يرى هذا الرأي ويصرخ به في قصائد كثيرة

قال العذول خرجنا في محبتكم من الوقار فيا صدق الذى زعما
فما على المرء فى الأخلاق من حرج إذا رعى صلة فى الله أو رحما
ولو وهبتم لنا علما سيادتكم مازادنا الفضل فى أخلاصنا قدما
نحنو عليكم ، ولا ننسى لنا وطنا ولا سريرا ، ولا تاجا ، ولا علما
هذى كرائم أشياء الشعوب فإن ماتت فكل وجود يشبه العدم
وكان هذا الانقسام مجلبة للتفكك ، وعدم الثقة وضعف النفوس ،
وشتات القلوب ، والاستغراق فى ذل العبودية ، وبلاء القيود . لم يخف على شوقى أثره حين قال الهمزة النبوية .

أدعوك عن قومى الضعاف لأزمنة فى مثلها يلقى عليك رجاء
أدرى رسول الله أن نفوسهم ركبت هواها والقلوب هواه
متفككون فما تضم نفوسهم ثقة ولا جمع القلوب صفاء
رقدوا وغرهمو نعيم باطل ونعيم قوم فى القيود بلاء

وحين قال في قصيدته «رمضان ولي» ينعي فيها على النفاق والتخاذل
والشقاق، ويوجه الى الشمم والاباء وجمع الكلمة

فلعل سلطان المدامة مخرجي من عالم لم يخو غير نفاق
وطنى أسفت عليك في عيد الملا وبكيت من وجد ومن إشفاق
لا عيلى حتى أراك بأمة شماء راوية من الاخلاق
ذهب الكرام الجامعون لأمرهم وبقيت في خلف بغير خلاق
أبطل بعضكمو لبعض خاذلا ويقال شعب في الحضارة راق
وإذا أراد الله إشقاء القرى جعل الهداة بها دعاة شقاق
وكان فريق من كبار المصريين يملقون للورد كرومر ويمتدحون سياسته
ويكفرون نعمة مصر وصاحب عرشها، وينثرون بذور الفرقة بين أبناء
البلاد. فكان ذلك مدعاة للنعي من شوقي على أمثال هؤلاء. إنه شاعر يكره
النفاق والمنافقين ويجب مصر من صميم قلبه، ويراها جنة الدنيا لولا من
فيها من ذئاب

وكيف ينال عون الله قوم سرائهم عوامل الانقسام
إذا الاحلام في قوم تولت أتى الكبراء أفعال الطغام
فيا تلك الليالى لاتعودى ويا زمن النفاق بلا سلام
أحبك مصر من أعماق قلبي وحبك في صميم القلب نام
لأجلك رحت في الدنيا شقيا أصد الوجه والدنيا أمامى
وأنظر جنة جمعت ذنابا فيصرفنى الاباء عن الزحام
ويظهر أن النفاق والرياء، والالتواء، كانت من الأدوات المستحكمة في
مصر من عهد بعيد، حتى أن الخديوى اسماعيل حينما عزل كثير من المرجفون
في حقّه، وجفاه من كان له صديقا حميما، وعاداه من كان له وليا كريما، ولم
يقدم له من رجاله الذين أذاقهم طعم الحياة حمدا ولا شكرا، وإنما أحسنوا
الكفران عقدا وحلا كما قال شوقي

أبت الناس فيك الناس إلا أن يحاربوا الزمان وصدا
 فرأيت الحميم أول جاف ووجدت الولي في البؤس صدا
 ورجالا لولائك لم يعرفوا العيش أبوا أن يقدموا لك حمدا
 مارأوا بعدك الأمور ولكن يحسنون الكفران حلا وعقدا
 ولما نني شوقى إلى الأندلس، استراح من شمانة الشامتين، وخيانة الخائنين
 لقد كان يشهد بعينيه في عهد الخديو عباس تواضع المتكبرين، فلم يلبث أن
 شهد بعد عزله تكبر الوضعاء، ولم يستطع شوقى أن يكتم ألمه المضاعف
 من النني ومن هذا الخلق الزرى فقال في «قناة السويس»

إن للنني لروعة، وإن للنأي للوعة، وقد جرت أحكام القضاء بأن نعب
 هذا الماء، حين الشر مضطرم، والياس محتدم، والعدو منتقم، والخصم
 محكم وحين الشامت جذلان مبسم، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم
 وقال في أندلسيته الرائعة «يانأخ الطلح»

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا في الثائبات فلم يأخذ بأيدينا
 يبدو النهار فيخفيه تجلدنا للشامتين وبأسوه تأسينا
 نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم يهن بيد التثيت غالينا
 ولا يحول لنا صيغ ولا خلق إذا تلون كالهرباء شانينا
 وقال في قصيدته «بعد المنى» مخاطبا بلاد الأندلس

فأنت ارحتى من كل أنف كأنف الميت في النزع انتصابا
 ومنظر كل خوان يرانى بوجه كالبعي رى النقبابا
 وليس بعامر بنيسان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

على أن نواحي من الضعف الخلقى كان لها أثرها السيء في المجتمع المصرى
 فهذا النظام الفاسد في حياة الأسرة من تعدد الزوجات بدون مبرر، وما
 يترتب عليه من نزاع مستمر فى المنزل بين الأبناء والآباء وأزواج الآباء،
 وبنى العلات الذين لم يجمعهم رحم ولم يفرق ملك الحب عليهم ولا على

وتمد حلك للسفيه مداريا حتى يضيق بعرضك السفهاء
في كل نفس من سطاك مهابة ولكل نفس من نذاك رجاء

° ° °

- ٣ -

وأما أثر الأخلاق في قيام الدول وسقوطها ، ورفق الشعوب وانحطاطها ،
فأوضح من أن يحتاج إلى دليل .

فالعرب لم يكونوا قادرين على أن يسيطروا في مدى قرن من الزمان
على ما بين الصين والمحيط الأطلسي إلا بقوة دينهم وقوة أخلاقهم . فقد
منحهم الله عزم الرسل ، ورحمة الملائكة ، وبأس الأسود ، ونوال الغيوث ،
وعدلا ثابت الأساس أينما ذهبوا . فالعزم للسيطرة والفتح ، والرحمة
للودة وتآلف القلوب ، والبأس للبقيا وإرهاب العدو المتأخم ، والكرم
لتذوق لذة العيش ، والعدل لبقاء كيان المجتمع . وضمان حياة المحكوم
في كنف الحاكم ورعايته . يبين ذلك شوقي في قصيدته «مرجبا بالهلال» .

الله جل ثناؤه بلسانهم خلق البيان وعلم الأمثالا
وتخير الأخلاق أحسنها لهم ومكارم الأخلاق منه تعالى
كالرسل عزما والملائك رحمة والأسد بأسا ، والغيوث نوالا
عدنوا فكانوا الغيث وقعا كلما ذهبوا يميننا في الورى وشمالا
والعدل في الدولات أس ثابت يفنى الزمان وينفذ الأجبالا
ولما سقطت الدولة الأموية في الشرق لم يوهن ذلك عزم عبد الرحمن
الداخل ولم يوتسه من بناء ملك جديد في الغرب ، فاقترح كل صعب في سبيله ،
وخاض غمرات لا قبل لغيره بها ، في علو نفس ، وشمم أنف ، وشجاعة
معدومة المثال ، وتنقل في المعالي تنقل الهلال منزلة منزلة ، حتى بنى دولة من
خلقه النيل . وفي ذلك يقول شوقي :

ذاك والله الفتى كل الفتى أى صعب فى المعالى ما سلك
ليس بالهاتل إن هم متى لا ولا الناظر ما يوحى الفلك
زائل الملك ذويه فأتى ملك قوم ضيعوه فلك
غمرات عارضت مفتحما على النفس أشم المعطس
كل أرض حل فيها أو حى منزل البدر وغاب اليهس

• • •

أموى للعلا رحلته . . . والمعالى بمطى وطرق
كالهلال انفردت نقلته لا يحاربه ركاب فى الأفق
بنيت من خلق دولته . . . قد يشيد الدول الشم الخلق
وإذا الاخلاق كانت سلبا نالت النجم يد الملمس
فارق فيها ترق أسباب السما وعلى ناصية الشمس اجلس
ولا ريب فى أن الانحلال الخلق الذى أصاب المسلمين فى أواخر أيامهم
بالاندلس وما كانوا عليه من فرقة وشتات ، وخسة وجبن . كان له أثر أى
أثر فى ذهاب ريحهم ، وسقوط دولتهم وركوبهم بالبحار نعشا كان تحت آباتهم
عرشا يملأ الدنيا بهاء وروعة . وهذا شوقى يرسم لنا الصورة الحزينة فى قوله :

خرج القوم فى كتاب صم عن حفاظ كوكب الدفن خرس
ركبوا بالبحار نعشا وكانت تحت آباتهم هى العرش أمس
زب بان لهادم ، وجموع لمشت ، ومحسن لمحسن . .
إمرة الناس همة لا تأتى لبيان ولا تسنى لجبس .
وإذا ما أصاب بنيان قوم وهى خلق ، فانه وهى أس
والحرب دائما تنتهى بهزيمة فريق وانتصار فريق . وللأخلاق دخل فى
الهزيمة والانتصار على السواء . وقد حاربت اليونان تركيا فى حياة شوقى
مرتين فهزمت فى كليهما وانتصر الترك عليها . فقال فى الحرب الاولى :

ظهرت أمير المؤمنين علي العدا ظهورا يسود الحاسدين ويتعب
 هموملاؤا الدنيا جهاما وراءه جهام من الاعوان أهذى وأكذب
 ولم يتكلف قومك الاسد أهبة ولكن خلقا في السباع التأهب
 كذا الناس بالاخلاق يبق صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب
 وقال في الثانية يذكر قوة سلاح اليونان وكثرة عدوهم، وصبر الترك
 وشدة بلائهم، واستسماهم كل صعب، وعدم استعصاء المحال عليهم، وعمل
 الاخلاق في نصرهم، وسحر القائد في الجند، وتطهيره الامة من ذل الاستكانة
 وفشل التفكك. حتى توحدت الجهود وخرج الشعب بعد الحرب أقوى مما
 كان قبلها.

وما السلاح لقوم كل عدتهم حتى يكونوا من الاخلاق في أهب
 لو كان في الباب دون الخلق منبهة تساوت الاسد والذئبان في الرتب
 لم يغن عن قادة اليونان ما جشدوا من السلاح وما ساقوا من العصب
 للترك ساعات صبر يوم نكبتهم كتبت في صحف الاخلاق بالذهب.
 لا الصعب عندهم بالصعب مركبه ولا المحال بمستعص على الطلب
 ولا المصائب إذ يرى الرجال بها بقايات إذا الاخلاق لم تصب
 من فل جيش ومن انقاض مملكة ومن بقية قوم جئت بالعجب
 أخرجت للناس من ذل ومن فشل شعبا وراء العوالى غير منشعب

° ° °

ومصر أم الحضارة في العالم. لم يستطع بنوها الفزعنة أن يقيموا
 الاعاجيب، وبنوا الآثار الخالدة إلا بما أوتوا من عقول جبارة، وخلق
 متينة، الاتقان البالغ، والهمة العالية أجلى مظاهرها. يصور ذلك شوقي في
 قصيدته «توت عنخ آمون».

غدا يبنون ما يبق، وراحوا وراء الآبدات مخلدين

إذا عمدوا لمأثرة أعدوا . لها الاتقان والخلق المتينا
وليس الخلد مرتبة تلقى وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن منتهى هم كبار . . إذا ذهب مصادرها بقينا
وسر العبقريه حين تسرى فتنتظم الصنائع والفنوننا
ويشير إلى ذلك في قصيدته ، على سفح الاهرام ،
لك كالمعابد روعة قدسية . عليك روحانية العباد
أسست من أحلامهم بقواعد ورفعت من أخلاقهم بعماد
والحضارة اليونانية لم تبلغ حظها من الروعة والكمال إلا بالاخلاق
والعلم والفن . ولكن الاخلاق كانت صاحبة الاثر البارز في اليونان بما كان
يضرب أسانئدها من المثل الرفيعة . وهذا شوق في قصيدته ، أرسططاليس
وترجمانه ، يشير إلى هذا بقوله :

مشاء هذا العصر قف حدث عن العصر القديم
مثل لنا اليونان جيش العلم والخلق القويم
أخلاقها نور السيل وعليها نور الاديم
وشبابها يتعلمون على الفراقذ والنجوم
لمسوا الحقيقة في الفنور وأدركوها في العلوم
حلت مكانا عندهم . . فوق المعلم والزعيم
وبريطانيا لم تبن ملكها المتطاوول في الشرق والغرب إلا بأخلاق بنينا
وما بذلوا من جهد وصبر في السلم والحروب . مع بعد نظر وكياسة سياسة .
ملك يطاول ملك الشمس عزته في الغرب باذخة في الشرق قعساء
تأوى الحقيقة منه والحقوق إلى ركن بناء من الأخلاق بناء
وحاطه بالقنا فتان بملكه في السلم زهر ربي في الروع أرزاء
ذلك أثر الأخلاق عند شوق في بناء الأمم . فلاعجب إذن إذا وجدناه

« يدبر الأخلاق على معاني البناء وأحواله والبناء وأجزائه » كما يقول الأستاذ الكبير على النجدي ناصف . فإن أخلاق المصريين في عهده كانت في حاجة ماسة إلى مثل هذه الروح القوية . ولعل ذلك هو ما حدا بشاعرنا العظيم أن يوجه إلى الشباب المصري كل عنايته وغوالى نصائحه في مناسبات لا حصر لها : وذلك شأن من يريد البناء من جديد :

قل للشباب اليوم بورك غرسكم دنت القطوف وذلك تذليلا

°°°

قل للشباب بمصر عصركم بطل بكل غاية إقدام له ولح

°°°

قل للشباب زمانكم متحرك هل تأخذون القسط من دورانه

°°°

يا شباب الديار مصر إليكم ولواء العرين للأشبال

°°°

يا شباب الفدا وابناى الفدا لكمو أكرم وأعزز بالفدا
عصركم حر ومستقبلكم فى يمين الله خير الأمناء

°°°

شباب قنع لاخير فيهم وبورك فى الشباب الطامحين
ولقد ذهب الأستاذ فى عرض النصوص الأخلاقية لشوقي مذهبا عجيبا
وبنى على هذه النصوص أحكاما غريبة . فالنصوص لها ملهقات تشرحها
وتعزها وأعتقد أن فيما أسلفنا كل الكفاية . غير أننا فى حل من توضيح
بعض النصوص التى أوردنا . فالآيات التى قالها شوقي فى ملكة النحل . لا يتم
معناها إلا بما بعدها .

أليس فى ملكة النحل لقوم تبصره

ملك بناه أهله بهمة ومجدرة

لو التمس فيه بطال الدين لم تره

تقتل أو تنفى الكسالى فيه غير منذرة

هذه هي أخلاق النحل التي بنت ملكها بها . الهمة والدقة والعمل وقوة

القيادة . وبيت شوق في نهج البردة :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

لا يتم معناه الفنى إلا باليتين التالين :

والنفس من خيرها في خير عافية والنفس من شرها في مرتع وخم

تطغى إذا مكنت من لذة وهوى طغى الجياد إذا عضت على الشكم

أفلا يرى حضرة الأستاذ أن شوق في هذه الأبيات الثلاثة قد أصبح

كغيره من الشعراء فيلسوفا في شعره أو شاعرا في فلسفته . وأنه بتكامل النص

قد خرج من زمرة صالح بن عبد القدوس وعبد الله فكرى ؟

وإذا أردنا أن تدبر طريقة شوق في التناول والتصنيع والعرض ونرى

إلى أى غاية بلغ ، فاعلمنا إلا أن نعرض هذه الأبيات في مصرع كتنشر

رضع الأخلاق من ألبانها إن للأخلاق وقعا في الصغر

ورآها صورة في أمه ومن القدوة ما توحى الصور

أبعد الساعون ييغون المدى والمدى في المجد بان لنفر

كجياد السبق لن تغنيها أدوات السبق ما تغنى الفطر

ونعود إلى بيتين أوردناهما في قصيدته عن ابن زيدون

مارأى الناس شاعرا فاضل الخلق طينا

درس للناشقين في زنبق الشعر عقربا

ونعود إلى أبياته في عبد الرحمن الداخل :

أموى للعلا رحلته والمعالي بمطى وطرق

كاهلال انقذت نقلته لايجاريه ركاب في الأفق
بنيت من خلق دولته قد يشيد الدول الشم الخلق
وإذا الاخلاق كانت سلما نالت النجم يد الملتمس
فارق فيها ترق أسباب السما وعلى ناضية الشمس اجلس

واعتقد أن حضرة الأستاذ يرافق على أن هذه الصور لا تنقل روعة عن
الصور التي أوردتها في الموازنة بين شوقي وغيره من الشعراء السابقين .
وقد كتب الأستاذ الجليل صفحة كاملة في شرح أبيات لابن الرومي
وبيان عبقرية وبراعته وافتتانه . وتلاحق صورته وصدق أمثله ورائع
تخرجه وأنا رجل لا أملك من أناقة البيان ما يملك الأستاذ غير أنني أرى أن
أبيات ابن الرومي ضحلة لا عمق فيها ولا فلسفة ولا شيء أكثر من المتعارف
عند جميع الناس وما جاءت به الشرائع من مجازاة الحسنة بأمثالها والسيئة
بمثلها . أما الحق بعماء الصحيح وهو الضغينة القلبية الغنيفة التي منشؤها ثأر
أو ظلم عرض ، أو انقاص قدر ، أو خروج على سلطان ، أو حسد على نعمة .
فإنها لا تعتبر مدحا بحال من الأحوال كما يدعى حلو الحق مرا ، فإن القلوب
في الحالات الأولى لا تشفى بحمل الضغينة ولا بالاساءة اليبانية ، وإنما تستريح
عندما تدرك بغيتها من النعمة ، والحسد لا ذواعي له مطلقا . ولا علاج .
وإذا كان معن بن أوس قد حاول بكل ما يستطيع الحلیم من جهد أن يستل
الضغن الذي يضيق به الجرم من قلب قريبة ، وداواه حتى أرقأ نفااره ،
فإنه بقصيدته الخالدة .

وذى رحم قلبت أظفاره ضغنه بحلى عنه وهو ليس له حلم
أجل مذهبا وأكرم نفسا وأرق بيانا وألطف من حاول علاج الحقد

من الناحية النفسية . وأنا أومن بعقيدة ابن الرومي إلا في هذه الآيات فاني لا أعترف له فيها بشيء من الإبداع .

- ٥ -

ويعود بعد ذلك إلى النقد والتحليل . فقد أخذ الاستاذ الكبير على بيت شوقي

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
بعض المأخذ : منها أنه يجعل الأمة شيئا واحدا لا مزيد عليه في مقوماتها
فالامة في رأيه أخلاقها . وما هي بها فقط في الواقع ولكن معها مقومات
آخر لا بد منها كالعلم والصحة والمال :

وقد رد الدكتور هيكل باشا في مقدمة الشوقيات على هذه النقطة
بقوله :

« فشوقي يرى أن الأمم لا تقوم على دعامة غير دعامة الاخلاق ؛ وهو
يرى ذلك برغم ما قد يبدو في بعض الأمم القوية من تدهور في الاخلاق .
فالعلم عنده حسن وله فائدته ، والفن حسن كذلك ، والغنى حسن كذلك ،
وسائر أدوات الحضارة تصلح الأمم . ولكنها جميعا لا فائدة من رقيها
وغزارتها اذا انحطت أخلاق الأمة . فأما إن قويت هذه الاخلاق فقليل من
ذلك كله كاف ليرتفع بالأمة الى ذروة المجد والسؤدد

وليس معنى هذا أن شوقي يحقر من شأن ما سوى الاخلاق فله عن العلم
والفن والعمل والترحال وغيرها آيات بينات : لكنها معناه أن الاخلاق عنده
في المحل الاول . وهو لا يمل من أن يكرر الدعوة الى الخلق الصالح على أنه
قوام حياة الأمم في كل قصيدة يقولها عن مصر أو عن غير مصر »

واذا كان كلام الدكتور هيكل باشا في حاجة الى توضيح من شعر شوقي
فما علينا إلا أن نورد بعض المثل من قصيدته « تكريم »

بالقطن لم يرفع قواعد ملكه فرعون وأهرمان من بنيانه
 أمكن بأول زارع نقض الثرى بذكائه وأثاره بنيانه
 وبكل محسن صنعه في دهره تتعجب الاجيال من اتقانه
 وبهمة في كل نفس خلقت في الجو وارتفعت على كيوانه
 ملك من الأخلاق كان بناؤه من تحت أولكم ومن صوانه
 فاتوا الهياكل ان بنيتهم واقبسوا من عرشه فيها ومن تيجانه
 ومن قصيدته « البرلمان »

دون الجلاء ودون يانع ورده خطوات شعب في القناد تسار
 وبناء أخلاق عليه من النهى سور ومن علم الزمان إطار
 وحضارة من منطق الوادى لها أصل ، ومن أدب البلاد نجار
 وإذن فشوقى لم يهمل ماسوى الأخلاق من مقومات الأئمة في شعره .

وأنا أورد بعض أبيات لشوقى عن الفن تعتبر أروع ما قيل في تمجيد
 لولا ابتسام الفن فيما حوله ظل الوجود جهامة وجفاء
 جرد الفن الحياة وماحوت تجرد الحياة من الجمال خلاء
 بالفن عالجت الحياة طبيعة قد عالجت بالواحة الصحراء
 تأوى إليها الروح من رمضائها فتصيب ظلاً أو تصادف ماء
 نبض الحضارة فى الممالك كلها يجرى السلامة أو يندق الداء
 إن صح فى على الزمان صحيحة أوزاف كانت ظاهراً وطلاء

ويقول حضرة الاستاذ « وكان خيراً من هذا البيت وأضمن اسداد معناه
 أن يودعه الشاعر مقومات الامة كلها ويبين مبلغ الاحتياج إليها ثم يختص
 الأخلاق إذا شاء بما هى أهل له من إثارة . أما أن يقصر الحديث على
 الأخلاق ويؤتىها وحدها الفضل كله فنقص وقصور . هيات معهما أن يتحقق
 المراد بالبيت على وجهه »

والبيت كما هو أماننا مكون من عشر كلمات ، ولو كان شوقي موظفا في قسم المعاهدات بوزارة الخارجية البريطانية وأوتى أعظم نصيب من اللباقة السياسية ما استطاع أن يضع مقدمات الأمة كلها ويبين مبلغ الاحتياج إليها ثم يختص الاخلاق بما هي أهل له من إثارة في عشرة كلمات .

والمأخذ الثاني مردود عليه من حضرة الأستاذ ونحن نوافقه على الرد لا على المأخذ . وليس بعد كلام الله ولا كلام رسوله اصطلاح .

والمأخذ الثالث كون شوقي يجعل بقاء الأمة رهينا ببقاء أخلاقها تبقى ما بقيت ، وتذهب حين تذهب ، وتلك قضية غير مسلبة ، لأن فضائل أى أمة لا تعنى حتما الفضائل الانسانية ، فقد يكون للأمة أخلاق تدين بها وتنكر التخلي عنها ، وهى فى نفسها رذيلة بمقوته ، فغرب الجاهلية مثلا كانت لهم أخلاق ذميمة أنكرها الاسلام فزال بها حتى أبطلها وأخل ضدها محلها . ومع ذلك لم نر الأمة ولا قسما منها يذهب بل رأيناها تقبل وتتجمع وتصح وتقوى ثم تنساح فى الارض فتملؤها حضارة ونورا وعدلا بعد ما ملئت همجية وظلاما وظلما .

وأعتقد كما يعتقد حضرة الاستاذ الجليل أن الاسلام خلق العرب من جديد وأن عرب الجاهلية بأخلاق الجاهلية أمة وعرب الاسلام بأخلاق الاسلام أمة . والاخيرة هى التى أقبلت وتجمعت وصحت وقويت ثم انساحت فى الارض فلاتها حضارة ونورا وعدلا .

- ٦ -

أما بعد . فقد أدى شوقي رسالته الأخلاقية على أتم ما يؤدى شاعر عظيم رسالة عظيمة . وما علينا إلا أن نسير على هذه المثل الرفيعة ونروض أنفسنا على التحلى بمكارم الاخلاق التى أوصى بها الدين الحنيف .

ونختم هذا البحث بالكلمة القيمة التي ختم بها أرسطو كتابه في علم الأخلاق . مع ضمان الأمل في العمل على تحقيق هذه المبادئ السامية : في الشؤون العملية ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظرياً بالقواعد . بل هو تطبيقها فيما يتعلق بالفضيلة لا يسكن أن يعلم ما هي . بل يلزم زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها . لو كانت الخطب والمكاتب قادرة وحدها على أن تجعلنا أجيالاً ، لاستحقت أن يطلبها كل الناس ، وأن تشتري بأعلى الأثمان . ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيع المبادئ في هذا الصدد هو أن تشد عزم بعض قتيان كرام على الثبات في الخير ، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقاً للفضيلة ، وفينا بعدها :

ومنى لحضرة الأستاذ الجليل والاديب الكبير على التجدي ناصف تحية
ملؤها الإعجاب والتقدير .

وسلام على شوقي في الخالدين

عبد الرهاب عناني الخطيب